واجب المجتمع العربي

تأليف
سماحة السيد حُسين الصدر
(دام ظله)

واجب
المجتمع العربي

تأليف
سماحة السيّد حُسين الصدر
(دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

الكفاح
في تاريخ الشعب العربي

فرّق الإستعمار بين أبناء الشعب العربي، وجعلهم شعوباً وقبائل، وجعل رقعتهم التي يعيشون فوقها أوطاناً مختلفة، وجعل بين هذه الأوطان حدوداً وفواصل، وأمعن في الفصل بينها حتى كاد يُصبح لكل مجموعة من أبناء العروبة هدف وأمانٍ وخطة لتنفيذ هذا الهدف وتلك الأماني، يغاير ما لدى المجموعة الأخرى من هدفٍ وأمانٍ وكذلك ما لديها من خطة ووسيلة...

وحاول الإستعمار أن يُنسي الشعب العربي تأريخه الماضي حتى إذا ما نَسِيَه استطاع أن يذلَّه، وسَهُلَ عليه أن يقوده إلى ما يريد.. والاستعمار لا يريد من هذا الشعب العربي صاحب التأريخ المجيد إلاّ أن يقدّم له ما عنده من ثروة بشرية اقتصادية، وما له من موقع ممتاز على وجه الأرض قاطبة...

إنَّ هذه الرقعة التي يعيش عليها الشعب العربي أو ما يسميه الإستعمار مجموعة الشعوب العربية لها مكانتها في تأريخ هذا الشعب وفي تأريخ الحضارة الإنسانية كلها.

فلمكة المكرّمة والمدينة المنورة منْزلتهما في الرسالة الإسلامية والدعوة إليها، فإن كانت الدعوة قد انبثقت من الأولى، فقد شدّت الثانية أزره وناصرته، والإسلام هو تلك الدعوة التي حوّلت نظر الناس إلى أن يكونوا

أسياداً علـى أنفسهم وبينهم وبين بعضهم بعضاً.. هو تلك الـدعوة التي وجهتهم في الخضوع والإذعان إلى قوة غير بشـرية، إلـى قـوة الخـالق وحـده ﷻ وبهـذا كانـت دعـوة تحريريـة مـن شـهوة الإنسان على نفسه، ومن سيطرة إنسان على إنسان...

ولبغداد بما تملك من تأريخ عريق وحضارة لهـا امتـدادات عميقة ضمن جوانـب متعـددة، فهـي مهـد للحضـارات الإنسـانية وللرسالات السماوية، فهي مهد لكثير من الأنبياء، ومحط ومرقد لكثير من أئمة أهل البيت الطيبين الطاهرين (عليهم السلام).

وكـذلك لكثيـر مـن الصـحابة الكـرام المنتجبـين والسـلف الصالح(رضوان الله عليهم أجمعين)، فهي لها منْزلتها فـي حفـظ تراث الحضارة الإنسانية العلمية والفكرية كذلك في تنميتهـا ممـا كـان لـه أثـره الواضـح فـي تلـك الحضـارة الغربيـة الحديثـة والمعاصرة، فأوربا حتـى أوائـل القـرن الثالـث عشـر المـيلادي كانت لا تعرف عن ذلك التراث شيئاً، وبفضـل بغـداد علـى هـذا التـراث عـرف الغـرب حضـارة العـرب وحضـارة الإنسـانية القديمة، ولم يخطُ هذا الغرب خطوة في سـبيل التقـدم الحضـاري والفكـري إلاّ بعـد أن لقـح ذهنـه بـذلك الفكـر العربـي ولـم يـتم الإصلاح الديني في أوربا إلاّ بعد الوقوف على تعاليم الإسلام.

وللقاهرة منْزلتها في دفع أول غزو غربي إستعماري، هو الغزو الصـليبي لرقعـة مـا يسـمى بالشـرق الأدنـى الآن، وهـي رقعـة الشعب العربي، ولصـلاح الـدين الأيـوبي مكانتـه التاريخيـة فـي دفع هذا الغزو الذي تكرر غير مـرة، وبـذلك أنقـذ الإنسـانية مـن جهالة القرون الوسطى التي سادت أوربا.

وأنقذ الإنسانية مرة أخرى من سيطرة الوحشية البربرية الغازية على مقدسات الإنسانية في هذه المنطقة.

ولدمشق منْزلتها في إشهاد التاريخ البشري على أنَّ الإسلام والعرب قد كان لهما إمكانيات خلاّقة وقدرات ضخمة..

ولفلسطين منْزلتها الروحية في نفوس المؤمنين جميعاً من البشر، لها مكانتها في تأريخ الإنسانية الفاضلة بما فيها من ذكريات الرسالة الإلهية..

هكذا لكل بقعة في أرض الشعب العربي أثره الفاضل، أثره القوي على الإنسانية في هدايتها إلى الحق، وفي إرشادها إلى قيمة الفكر، وفي تعريفها بتأريخ هذه الإنسانية نفسه..

هذا هو تأريخ الشعب العربي، هو تأريخ شعب واحد، يحمل مشعلاً واحداً، يحمل مشعل الهداية الإلهية والفكر الإنساني السليم، وله رسالة واحدة، هي رسالة الأخوّة بين بعضهم بعضاً، ورسالة المودة بينهم وبين غيرهم، إذ طالما كان الشعب في تأريخه الماضي حاملاً لمشعل الهداية الإلهية وللفكر الإنساني السليم، فلم تكن له رسالة إلاّ رسالة الإعتصام بالحقّ والدفاع عنه، والإعتصام والدفاع عنه لا يتم إلاّ حيث كانت الأخوّة الصافية والمودّة الإنسانية قد تمكنتا من نفوس المعتصمين المدافعين...

إنَّ تأريخ الشعب العربي قد حدّد شخصية هذا الشعب فأسند إليه رسالة هي رسالة النور والهداية، وقد مجّد دوره في الكفاح من أجل هذه الرسالة، والغزوات في جزيرة العرب، والمعارك بعد هذه الغزوات في أشهر مدن

الشعب العربي من بغداد إلى طنجة ترشد إلى قيمة هذا الكفاح وبطولة المكافحين..

إنَّ رسالة النور والهداية هي رسالة الحرية الإنسانية، هي رسالة الإنسان من الرِقِ والسيطرة الفردية أو الجماعية، كان للعرب رسالة، وكان كفاح، ولم تكن لهم رسالة ولم يستطيعوا أن يكونوا مكافحين إلاّ يوم أن اجتمعت كلمتهم بعد أن فرّقتهم الشهوات، وتلك آية من آيات الله يتحدث بها إليهم كما في سورة آل عمران، آية/١٠٣:-

﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءاً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانَاً﴾

هذا هو تاريخ الشعب العربي، وماضي العروبة هو دليلها في حاضرها، ولذا لن نتخلّى عن رسالتها، ولا عن كفاحها، ونعتقد كما اعتقد الأسلاف من قبل، أنَّ هذه الرسالة لن تؤدّى إلاّ بالتماسك، وأنها لا تصمد في الكفاح إلاّ بالوقوف في صفٍ واحدٍ ليس فيه ثغرة، ولِمَ تكون الثغرة؟

١-بِلُغَتِكُم نزل القرآن الكريم.

٢-وفي سبيل الدعوة إلى الإسلام تحمّلتم أعباءها وانتصرتم بصبركم في الجهاد.

٣-فعلاقاتكم هي علاقات اللغة، والدين، والكفاح المشترك في التاريخ من أجل الوجود، والإشتراك في الأماني،والرحم، والجوار..

أواصر القربى في الشعب العربي

نتناول في هذا الفصل أواصر القربى في الشعب العربي، وهي أواصر متعددة قوية، هي أواصر اللغة، والدين، والتاريخ المشترك في الكفاح، وصلة الرحم والجوار.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى لهذا الشعب العربي أن تكون علاقاته بين بعضه بعضاً متنوعة حتى لا تنفصم عراها تحت ضغط الأحداث وتيار الفتن والدسائس.

١- رابطة اللغة:

بينكم رابطة اللغة، وهي لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء المرسلين محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) كما في سورة فصلت، آية/٢:-

﴿تَنْزِيْلٌ مِنَ الرَّحمَنِ الرَّحِيْمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنَاً عَرَبِيَّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ﴾

ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيَّه الكريم(عليه أفضل الصلاة والسلام) كما في سورة مريم، آية/٩٧:-

﴿إِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِيْنَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمَاً لُدّاً﴾

فهي لغتكم في الخطاب والتفاهم، ولغتكم في دينكم وعقيدتكم، ولغتكم كُتِب بها تاريخكم.. وهو تاريخ أمة واحدة، وشعب واحد، له خصائص متّفقة في الحياة والأماني.

ورابطة اللغة رابطة طبيعية غير مصطنعة، وهي مرآتكم ترون فيها ماضيكم وحاضركم وتُسجّلون بها مستقبلكم لأجيالكم القادمة، هي أكثر من ألفاظ وعبارات.

هي التعبير عن حياتكم وما قمتم أو تقومون به فيها إزاء أحداثكم الخاصة أو تلك الأحداث التي تواجهونها.

حاول المستعمر إضعاف هذه الرابطة وإخراجها عن أن تكون وسيلة لجمعكم وأداة لتكتلّكم واتحادكم، فدعا إلى لهجاتكم الخاصة، ومنها العاميّة، لتكون لغات مستقلة تحلُّ محل اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن الكريم، والتي هي الرابط العام بينكم.. دعا أن يُدوّن بلهجاتكم وعاميتكم تأريخ كل فريق منكم، وبذلك تُصبحون شعوباً متعددة لا شعباً واحداً، وتُبعدون قليلاً أو كثيراً عن لغة قرآنكم وعن فَهْم كتاب الله عز وجل المُنَزَّل الذي هو مصدر هدايتكم ونعمة الله عليكم.

٢- رابطة الدين:

بينكم رابطة الدين، وهو الإسلام، دين الفطرة الإنسانية، يقول تعالى في سورة الروم، آية/٣٠:-

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾

بهذا الدين جمع الله شملكم وآخى بينكم، بعد أن وجّهكم إلى عبادة الله وحده، يقول تعالى في سورة الأنبياء، آية/٩٢:-

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

ولكن مع ذلك لا يدع الله عباده دون أن يختبرهم في إيمانهم ليعلمَ الصادقين منهم والكاذبين في إيمانهم والعابثين فيه، يقول تعالى في سورة العنكبوت، آية/٢-٣:-

﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُم لايُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ**﴾

واختبار الله لعباده ليس في وقت دون وقت، وليس في صورة واحدة غير متنوعة، ومما ابتلى الله به المسلمين في هذه المنطقة حديث المستعمر عن مذاهبهم، وإنَّها مذاهب لا تلتقي، واتخذ من تعداد المذاهب سبباً للفرقة والإيقاع بينهم، ليُوهن من وحدتهم، وليحول دون اتحادهم في الإتجاه والغاية.ولكن الله يقول في سورة آل عمران، آية/١٠٥:-

﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ البَيِّنَاتُ**﴾

ويقول كذلك في سورة النساء، آية/٥٩:-

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأويلاً** ﴾

فالإسلام قد نهى عن الفُرقة والاختلاف الذي يُهدّد الوحدة، ويجعل المسلمين طوائف تقاتل بعضهم بعضاً، وأوضح من جانب آخر طريق صون

وحدتكم إذا اختلفتم في فهم ما أنْزل اللهسبحانه وتعالى وهو الرجوع إلى كتاب اللهعزّ وجلّ وإلى ما يُؤثَر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من قول صحيح وعمل ثابت.

فرابطة الدين بينكم، وهي مرآة حياتكم، زادت في تعاونكم وفي لقائكم وفي دفع محاولات أعدائكم للنَّيل منكم.

٣- **رابطة الرحم والجوار:**

بينكم صلة الرحم والجوار، وهي صلة تدعو إلى رعاية المصلحة المشتركة، إلى التعاون في دفع الضرر والأذى، يقول تعالى في سورة الأحزاب، آية/٦:-

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ المُؤمِنِينَ وَالمُهَاجِرِينَ إلاّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَولِيَائِكُمْ مَعْرُوفَاً كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾

ويقول عزّ وجلّ في سورة النساء، آية/٣٦:-

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالوَالِدَينِ إِحْسَانَاً وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورَاً﴾

هذه الصلة بدورها يحاول المستعمر أن يمزّقها، يحاول أن يجعل من الحُكّام في منطقة الشعب العربي نفوذاً، كما يحاول أن يجعل بين المسيحية والإسلام هنا حواجز العداوة والبغضاء...

علينا أن نعود بهذه الروابط الوثيقة المقدسة إلى طبيعتها.. علينا أن نُدرك أنَّ تأريخ العروبة هو تأريخ الشعب العربي بأسره، وليس تأريخ ذلك النفر من الساسة الذين تعاونوا مع الإستعمار على إذلال هذا الشعب في كرامته وفي حياته.

أما أعوان الإستعمار اليوم فقد ابتلى الله المسلمين بأمثالهم عند قيام الإسلام.. ولكن المسلمين لمّا صبروا في كفاحهم وجهادهم كان النصر حليفهم، يقول تعالى جلَّ شأنه في سورة التوبة، آية/٤٨:-

﴿لَقَدِ ابْتَغَوا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأَمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

وقد وضع الإسلام مبدأ لتفويت التآمر على المسلمين، وإثارة فتنة الفرقة بينهم عن طريق نفر من بينهم، وعبّر عن ذلك المبدأ بقوله تعالى في القرآن الكريم ضمن سورة آل عمران، آية/١١٨:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمِ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

إنَّ ما صلح به أول الأمر يصلح به آخره: إيمانٌ وكفاح في تماسكٍ، وصبرٌ فَنَصْر، يقول تعالى في سورة الحج، آية/٤٠:-

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾

الأماني العربية

في هذا الفصل نتناول الأماني العربية، والتي تشترك بها مجموعة الشعوب العربية التي لها تاريخ واضح في الحضارة والمعرفة، وفي القيادة والسيادة، هذه الشعوب التي تآمر عليها الإستعمار الغربي وقسّمها إلى وحدات ومناطق وأضعفها من بعد قوة، وأذلّها من بعد سيادة، واستغلّ إمكانياتها البشرية، وثروتها الأرضية، ولم يزلْ يُضعِفها، ولم يزلْ يُفرّق بينها، ولم يزل يستغلّها.

إن لهذه الشعوب العربية أماني مشتركة وأهدافاً في حياتها موحّدة، إنها تريد أن تعيش سيدة نفسها، لا مُستذَلّة، ولا مُستضعَفة. إنما تريد أن تحتفظ بشخصيتها، لا تتميّع في شخصية غيرها، أيّاً كان هذا الغير...

إنها تريد أن تستقل عن نفوذ الأجنبي عنها، والدخيل عليها، لا أن يستقلّ بعضها عن بعض في الإتجاه، ولا أن يصير استقلالها حواجز بعض المناطق عن بعض..

إنها تريد أن تعود إلى مكانتها في التاريخ، يوم كانت تحمل لواء الحضارة الإنسانية، وتدافع عن المُثُل الرفيعة في تثبيت وإصرار، لا تضعف في الدفاع عنها، ولا تدعو إلى المساومة عليها، ولا تحزن بشيء من خيبة الأمل في بعض مراحل الكفاح في سبيلها. يقول تعالى في سورة محمد، آية/٣٥:-

﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الأَعْلَونَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾

ويقول ﷻ في سورة آل عمران، آية/١٣٩:-

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ﴾

تريدون أيها المسلمون هنا في هذه الديار أن تكونوا أحراراً في حياتكم كما أُمِرتم من دينكم أن تبقوا أحراراً من تسلّط غيركم عليكم...

يقول اللهﷻ في سورة آل عمران، آية/١١٠:-

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ﴾

وبمقتضى كونكم خير أمَّة لها رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنَّكم لا تصيرون أتباعاً لمن دونكم.. ولا مغلوبين على أمركم في حياتكم، لأنَّكم لا تكونون عندئذٍ خير أمَّة، أو لا تملكون مقوّمات الأمَّة صاحبة السيادة على نفسها، فضلاً عن أن تكونوا أصحاب رسالة في التوجيه، لأنَّ من لا يسود نفسه لا يُوجّه غيره..

عرف عدوَّكم هذا في دينكم، وعرف قوة صِلَتكم بهذا الدين، لا تزحزحكم عنه ثقافته التي يدعو لها، ولا يضعفه في نفوسكم حربه التي يقوم بها ضد اقتصادكم، عرف هذا وذاك فآثرَ أن يلجأ إلى الدسائس بينكم، كما اعتمد عليها من قبل في استعمار دياركم طول هذه السنين..

وكما اعتمد عليها من قبل في استغلال موارد بلادكم لصالح نفسه وإضعاف مقاومتكم له، هو يثير الفرقة القبلية والشعوبية فيكم بعد أن كان فضْل الإسلام عليكم هو أن جَمَعَكم على هدف واحد، وعلى أساس واحد، يقول عزَّ من قائل في سورة الأنفال،آية/٦٣:-

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَو أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

ولم يُؤلِّف سبحانه بينكم على أساس من القوة المادية والتي يمكن أن تضعف بعد حين، ولا على أساس من تبادل المنافع، والتي يمكن أن ينتهي عرضها والحاجة إليها بانتهاء وقتها أو قيمها، ولا على أساس من علاقات القرابة في الأسرة أو القبيلة أو الجنس البشري والتي يمكن أن تنتهي بتفرّع الأسرة إلى أثر وتكثر القبيلة إلى فصائل، واتساع نطاق الجنس إلى جماعات تتباعد فيما بينها حتى تنكر كل جماعة صلتها بالأخرى...

ولكن ألّف بينكم في سبيل الله، في سبيل المثل الرفيعة وخير الإنسانية حتى إذا أُشرِبت قلوبكم حب الإيمان بالله وبالحقّ، صرتم قوة في كثرة بعد ضعف في قلّة، وأصحاب سيادة وعِزَّة بعد خوف واستضعاف لغيركم، يقول تعالى في سورة الأنفال، آية/٢٦:-

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وكما يحاول عدوّكم، وهو الإستعمار، أن يفرّق بينكم بإثارة روح القبلية والشعوبية فيكم، يعتمد على نفر من ضعاف النفوس منكم، ليعوّقوكم بوسيلة أو بأخرى عن أن تحبوا داعي المصلحة وتلبّوا نداء الحقّ جلّ شأنه الذي وعدكم بالنصر إن نصرتم رسالته، وهي رسالة الخير لكم وللإنسانية، يقول تعالى في سورة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، آية/٧:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنْ تَنْصُرُوْا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

أو يكون دور هذا النفر من ضعاف النفوس التراخي عن العمل معكم والإستجابة لروحكم الحماسية العامة.. وقد مرّت أمَّتكم بهذين الصنفين من الناس المعوّقين والمتراخين وابتليت بهما كما تبتلون بهم اليوم وغداً..فنرى القرآن الكريم يقصُّ علينا أمْر هذين الصنفين، يقول تعالى في سورة الأحزاب، آية/١٨-١٩:-

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرَاً﴾

ويقول ﷻ أيضاً في وصف الصنف الآخر وذلك في سورة النساء، آية/٧٢-٧٣:-

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيْبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيْدَاً، وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِيْ كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوْزَ فَوْزَاً عَظِيْمَاً﴾

ولكنَّ أمّتكم قضت على التخاذل والتخذيل بشيء واحد: بالإيمان بالحقّ، ويقول الله(تعالى) في خاتمة أمرها كما في سورة الشورى، آية/٣٩:-

﴿وَالَّذِيْنَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُوْنَ﴾

كما يقول سبحانه في عاقبة أولـئكم المتخلفـين فيهـا عـن أن يكونوا في صَفِّ المجاهدين وضمن المكافحين، دعاة الحـقّ إلـى الكفـاح والجهـاد، كمـا فـي سـورة محمد(صـلى الله عليـه وآلـه وسلم)، آية/٢٠-٢٣:-

﴿وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُوْرَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيْهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُوْنَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ، طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوْفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوْا اللهَ لَكَانَ خَيْرَاً لَهُمْ، فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوْا فِيْ الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوْا أَرْحَامَكُمْ، أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾

أيها المسلمون فـي منـاطق هـذا الشـعب العربـي... كونـوا كما كان أسلافكم... آمِنوا بما آمَنوا به من حقّ... وكـافِحوا كمـا كافَحوا في سبيله... واعلموا أنكم ستُبلَون فـي لقـائكم بـالمثبِّطين المتقاعسـين، وبشـيء مـن الخـوف، ونقـص الأمـوال... ولكـن العاقبة لكم، إن صبرتم، كما كانت العاقبـة لهـم عنـد صـبرهم... إنَّ وعيكم القـوي الآن هـو قـوّتكم، وهـو سـلاحكم ضـد عـدوكم، إيمانكم بأنفسكم وبحقّكم فـي الحيـاة وتـرابطكم، هـو الأمـر الـذي يقف دون اسـتغلالكم واسـتذلالكم.. يقـول الله(تعـالى) فـي سـورة الممتحنة، آية/١:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تَتَّخِذُوْا عَدُوِّيْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوْا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾

واجب
الشعب العربي اليوم

لابد في تاريخ صراعكم اليوم مع الإستعمار في وطنكم أن تثبتوا في وجه عدوانه، ولابد أن يرجح جانبكم في مقاومته، وقد كنتم معه من قبل مغلوبين على أمركم أن حاولتم أن تكافحوا سلطانه السياسي، أو تقفوا في وجه نشاطه الاقتصادي، أو تبتعدوا عن توجيهه الثقافي، وذلك عندما كنتم مُستعمَرين له..

لابد أن تعلنوا اليوم باسم الشعوب العربية تحدِّيكم للإستعمار ولأساليبه البغيضة. لابد أن تعلنوا وتجسِّدوا إيمانكم بأنفسكم وبحياتكم وبحقّكم في السيادة على دياركم في مواجهته ومواجهة أعوانه، وقد كنتم لا تستطيعون إلاّ أن تتحدثوا عن رغباتٍ وأمانٍ، وفي لحظة دون لحظات، وفي صوت خافت لا تسمعه إلاّ قلوبكم الحزينة التي لا تملك يومئذٍ إلاّ أن ترغب وتتمنّى فقط.

كل ذلك، عندما كانت السيطرة للإستعمار، ولكنها الآن – أي قلوبكم- قد عمَرت بالإيمان، وتحرّك إيمانها إلى يقظة وعمل، إلى استمرار في اليقظة وصبرٍ في العمل... نعم.. يقظتكم مستمرّة وعملكم في صبر وجَلَدٍ.. ولكن عدوّكم لم يخفت صوته بعد، ولم ييأس حتى الآن من مقابلتكم، ومقاومة يقظتكم، وإضعاف صبركم في العمل ضده.. إن يومكم هذا هو نقطة التحول في تأريخكم الحديث من ذل واستعباد إلى تحرر وسيادة.

إذن، لابد:-

١-إنّ ثباتكم في لقائه هو طريق نجاحكم، هو الوسيلة إلى ظفركم بما تكافحون من أجله سنوات طويلة، يقول تعالى في سورة الأنفال، آية/٤٥:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوْا وَاذْكُرُوْا اللهَ كَثِيْرَاً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾

أي إذا اشتبكتم مع أعدائكم في لقاء فاثبتوا في لقائكم في مواطن الجهاد والكفاح، واذكروا الله كثيراً، وباستمرار أثناء كفاحكم وجهادكم مع أعدائكم، مستمدِّين من الله سبحانه وتعالى العون وما وعدكم به من النصر مستظهرين بذكره، مترقبين لنصره، لعلكم تفوزون وتظهرون بمرادكم ومقصودكم وما تتمنونه من النصر في الدنيا والأجر والمثوبة من الله في الآخرة..

فالثبات مقروناً بذكر الله لا تتخلّف عنه نتائجه من النصر والسيادة، الثبات في المعركة، الثبات في احتمال الألم والمشقة، الثبات في ضبط النفس، الثبات في ردّ النوازع، الثبات في رد الإغراء.. الثبات في هذا كله لا يكون إلا ممن حرص على مصلحة جماعته وأمته، الثبات هذا لا يكون إلاّ ممن يكافح من أجل مبدأ، وفي سبيل مصلحة عليا، وعلى ذكرٍ من هذه المصلحة العليا التي تنتهي إلى الله -جلّ شأنه-

٢-الله سبحانه وتعالى إذ يأمر المؤمنين بالثبات في كفاح عدوّهم على هذا النحو، وبهذه الصورة والكيفية ينهاهم كذلك عن إتيان بعضهم لعمل لا تكون أضراره وقفاً على من يباشر هذا العمل وتشمله هو وحده، بل تعمّ الأمة كلها وتشمل الجميع، مثل التراخي في الجهاد والكفاح، وافتراق الكلمة وتشتيت الأمر والتآمر على مستقبل الأمة الذي هو أمانة في أعناق المؤمنين، وموالاة

الأعداء، ونحو ذلك مما أطلق عليه ﷻ لفظ ﴿فِتْنَة﴾ وسمّى القائمين به ظالمين، مع أنهم من بين المؤمنين، أو ممن يدّعون الإيمان ويدّعون أنّهم مؤمنين يقول تعالى في سورة الأنفال، آية/٢٥:-

﴿وَاتَّقُوْا فِتْنَةً لاَ تُصِيْبَنَّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾

فنرى هنا في هذه الآية المباركة كيف أنّ اللهﻋﺰّﻭﺟﻞّ ضاعف النهي والزجر عمّا يصيب الأمة بمجموعها من ضرر، نتيجة ما يقوم به من روّاد الفتنة، وكيف حذّر جلّ شأنه في صورة تؤكّد غضب الله على من يقوم بذلك من أبناء الأمة العاقّين لها. ولهذا نرى أنه -تبارك اسمه- لم يقف عند حد التعبير عن هذا العمل بـ(الفتنة) ولا عند حد وصف القائمين به بالظلم، بل أعقب هذا وذاك بقوله عزّ من قائل -ولا رادّ لما يقول- كما في سورة الأنفال، آية/٢٥:-

﴿وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ العِقَابِ﴾

٣-ثم جمع ﻋﺰّﻭﺟﻞّ ما أمر به من الثبات هناك، وما نهى عنه هنا من القيام بما يعود على الأمة من ضرر مرة أخرى في قوله تعالى في سورة الأنفال، آية/٤٦:-

﴿وَأَطِيْعُوْا اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَلاَ تَنَازَعُوْا فَتَفْشَلُوْا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ وَاصْبِرُوْا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾

فإنّ من لوازم طاعة اللهﻋﺰّﻭﺟﻞّ وما أوصى به لرسوله الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يكون هناك استسلام في مقاومة عدوّ، كما أنّ من نتائج الوحدة وعدم الفرقة، الصلابة في المقاومة، ومن نتائج الصبر، الظفر بالمطلوب. وأنّ اللهﻋﺰّﻭﺟﻞّ مع الصابرين في توصيلهم إلى أهدافهم ومعاونتهم على ما صبروا في سبيله.

أيُّها المسلمون
في هذه الديار العربية

إنّكم تجتازون أقسى الظروف، وتمرّون بأصعب المراحل، وهي مرحلة الإختبار والإفتتان والإبتلاء، وهي مرحلة الجهاد والكفاح.

وتعتبر هذه المرحلة هي الفاصل في مستقبلكم، وسلاحكم هو ثباتكم وعدم فرقتكم، وذِكْر الله –جلّ شأنه– في كل خطوة من خطوات جهادكم وكفاحكم، وذلك بتَذَكُّركم رسالته التي هي رسالة العزم والتوكل...

نحو
مجتمع عربي أفضل

يقول الله -تبارك اسمه وجلّ شأنه- كما في سورة الرعد، آية/١١:-

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

فلا تتغير حالة الإنسان من ضعف إلى قوة، ولا من قوة إلى ضعف، إلاّ إذا تغيرت نفسه تغيراً يعدّه للحال التي هو عليها.. فمن أَحبَّ العزة والكرامة، ومالَ إلى السمو والرفعة وسلكَ الطريق إلى أن يكون عزيزاً رفيعاً، فإنه سيكون حال العزيز الرفيع...

ومن رضي رضاءاً نفسياً بالمهانة وخضع إلى الإستسلام والتبعية، فإنّه سيكون له حال المُهان المستسلم من غير حرج.

تكوين النفوس تكويناً صالحاً

والجماعة التي تريد أن تكون ذات سيادة على نفسها، وكريمة على غيرها وَسَعتْ إلى السيادة والكرامة، فإنها لابد وأن تكون يوماً ما سيدة نفسها، وكريمة على غيرها، وبالعكس الجماعة التي تطمئن إلى الدنيّة، وإلى التبعية لغيرها فستبقى ذات دنية وتابعة...

ونصرة الله تتجسد في الإيمان الصادق به، والعمل المخلص برسالته، والإيمان بالله لا يكون في حال دون حال، فهو قاعدة تفكير ومنهج عمل، بل لا يكون الحديث عن إيمان إنسان أو جماعة بالله، إلاّ إذا بدا هذا الإيمان في السلوك والأخلاق وفي كل مفردات الحياة وضمن كل الحالات النفسية للإنسان، في حالة القوة والضعف، وفي حالة الرضا والغضب، وفي حالة الغنى والفقر..

فالإيمان بالله إنما يظهر في تجسيد العبودية له، وإنما يبدو في العمل برسالته وشريعته وامتثال أوامره وتطبيق قرآنه وسُنة نبيّه..

ومظهر الصدق في الإيمان، والأخلاق في العبودية، والتفاعل مع الرسالة الإلهية، هو التوجّه لله في خشوع واستقامة في السلوك، كما هو المرجو من الصلاة ورعاية للمحتاج ومعاونة له، كما هو أثر الزكاة، ونُصْح للآخرين

بالمعروف، ونهي لهم عن الفحشاء والمنكر، لا بالقول فحسب، وإنما قبل ذلك بالعمل على اتّباع المعروف وتجنّب المنكر...

إنّ طريق الإيمان بالله والعمل برسالته هو طريق تعريف الإنسان نفسه بين أفراد جماعته، ورسم لموقفه من جماعته، أنَّه طريق العبودية بدل الأنانية، أنه طريق القيام بعمل الخير العام، ومن أوضح نماذج الخير العام أن يحرص على ما يدعو إليه تماسك الجماعة وقوتها ووضعها..

فلا يغير الله حال الإنسان أو جماعة إلى حال آخر إلاّ بعد أن تتغيّر نفس الإنسان، وتتغير نفوس هذه الجماعة أولاً، وتستعدّ استعداداً نفسياً يلائم الحال الآخر، ويدعو إليه مع الإقتناع الكامل بالحال الآخر فكراً وعملاً.

والطريق الذي رسمه الإسلام لجماعة تريد أن تكون ذات سيادة وعزة ومَنَعة، وأن يكون أفرادها أقوياء أعزاء، أقوياء النفوس، أقوياء القلوب، أقوياء الضمير، أقوياء الداخل والخارج، أقوياء الجوارح والأعضاء، أقوياء التحمّل للمسؤولية، أقوياء الشعور بالكرامة، ليس هو الطريق **الذي** يرسمه الغرب المستعمِر في السلوك في الحياة ولا الطريق الذي يحدّده الشرق في فهمه للوجود والإنسانية..

إنّه الطريق الذي يضمن نصر الله لمن سلكه واتّبعه، إنّه الطريق الذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الحج، آية/(٤٠-٤١):-

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوَا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾

ونَصْر الله هو العمل برسـالته، والعمـل برسـالة الله هـو أن يكون الإنسان في صِلة دائمة معه وفي كل الظروف والأحوال.

أن يكون في صِلة بالله حال سيادته وقوّته، على نحو صِلته حال ضعفه.. توَجُّه إلى الله في خشوع، واستقامة في السلوك مـع خشـية، ورعايـة للمحتـاج مـع لُطـف، ونُصـح للآخـرين بالمعروف، بعد أن يكون هو صاحب معروف، ونهـي للآخـرين عـن الفحشـاء والمنكـر، بعـد أن يكـون قـد ابتعـد عـن الفحشـاء والمنكر، إنّه طريق الحدّ مـن الأنانيـة والقيـام بعمـل الخيـر فـي جماعته، ومن الخير في جماعته أن يقوم بما يـدعو إليـه تماسـك الجماعة وصيانتها من الضعف، أي ضعف..

الخشية من الله
أول مراحل التكوين

إنَّ الإسلام يريد إذَن للجماعة أن تسود، وتبقى محتفظة بسيادتها، وأن يكون أفرادها أصحاب فكر علمي موضوعي بنّاء، وأصحاب عمل إيجابي مثمر لخير أنفسهم كأفراد، ولخير جماعتهم وأمتهم التي ينتسبون إليها، وأن يكون أساس هذا العمل الإيجابي أن يخشى الإنسان الله عَزَّ وَجَلَّ فيما يعمل، وأن يعاون غيره فيما يحتاج فيه إلى معاونة، يقول الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتْقِنه﴾

فهو (عليه أفضل الصلاة والسلام) لا ينصح بالعمل في هذا الحديث الشريف -إذ طَلَبُ العمل أمر مفروغ منه- وإنّما ينصح بإتقانه، وإتقان العمل في أن يخشى الله ويرقبه فيما يعمل، ولو كان العمل صدقة أو هدية أو منحة..

فإذا اعترضتكم صعاب في طريق سيادتكم، بعد أن سلكتم إلى هذه السيادة طريقها المرسوم، فلا تهن عزائمكم، ولا يتطرق اليأس إلى نفوسكم، لأنَّ الصعاب في طريق الإنسان والجماعة قانون في الحياة لا يتخلف، وأن ما يصيبكم قد أصاب أسلافكم، وثِقوا أنَّ نصر الله قريب، بالصبر في مقاومة هذه الصعاب، إن استعنتم بقول الله -جلَّ شأنه- كما في سورة آل عمران، آية/(١٣٩-١٤٠):-

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَونَ إِنْ كُنْتُمْ مُومِنِينَ إِنْ يَمْسَسكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَومَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاولُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

ثم من السنن أن لا تكون النتائج من دون مقدمات، وأن لا تكون الحسنة منها إلاّ بعد الإبتلاء بها والتغلب عليها، فيقول ﷻ في سورة البقرة،آية/٢١٤:-

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوَا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ ألا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾

فإن أردتم أيها المسلمون في هذه الديار العربية مجتمعاً إنسانياً أفضل في دياركم ووطنكم، على هذا المنهج وهذه الطريقة، فهو لا شرقي ولا غربي، بل هو إسلامي رسمه الله ﷻ في رسالة السماء إلى البشر والإنسانية جميعاً.

وإذا صادفتم العقبات فلا تُيئسكم من رحمة الله ﷿ أو نصره، لأنَّ وجود العقبات في طريقكم ليس خاصاً بكم، بل هو من طبيعة الحياة وسُنَّة الكفاح والجهاد فيها...

الفكر المشترك
هو يكوّن الوحدة

<u>الفكرة أقوى رابطة بين الإنسان والإنسان:-</u>

الوحدة ثمرة الفكر المشترك، فالإنسان مع الإنسان وكأيّ شيء مع شيء آخر، أمران مستقلان، قد يكونان متنافرين، إذا اقترب أحدهما من الآخر في المكان، أو كان أحدهما في جوار الآخر، وقد يكونان متآخِيَين إذا التقيا، وقد تبقى الأخوة بينهما أيضاً بعد أن يفترقا وإلى أمدٍ بعيد..

تكون بين الإنسان والإنسان نُفرة، لا لأنّ أحدهما يفترق عن الآخر في اللون، أو الطول، أو العرض وما شابه ذلك من صفات الجسم، ولكن تكون هناك النُفرة بين إنسان وإنسان إذا لم يلتقيا في التفكير ويشتركا في الفكرة، ويجتمعا على الهدف، إذ الإنسان إنسان بفكره وعقله، لا بجسمه وهيكله.

ويجتمع إنسان مع إنسان لا بالإتفاق في تاريخ الميلاد، وعوارض البدن وشكله وصفاته، بل بالإتفاق في خطوط التفكير العامة، وفي النظرة الإجمالية للحياة. وشأن الجماعة مع الجماعة، لا يختلف في أسباب النُفرة أو الإلتقاء عن شأن الإنسان مع الإنسان الآخر، في حال تجانسهما أو تنافرهما، فتلتقي جماعة بجماعة وتتآخى معها، وقد تزول الفوارق بينهما، فيكون الأمر أمر اتحاد أو وحدة بينهما، وذلك إذا اشتركت إحداهما مع الأخرى في فهم الحياة، وفي تحديد الهدف منها، وفي الطريق الذي يُرسَم لبلوغ هذا الهدف وتحصيله.

القرآن
أقوى دعائم الفكر

نرى القرآن الكريم يذكر (المؤمنين) على أنهم أمة واحدة، لا لأنّهم ينتسبون إلى قبيلة واحدة، ولا لأنّ ألوانهم وأجسامهم متشابهة، ولكن لأنّهم يشتركون في تفكير واحد، يشتركون في نظرة واحدة إلى الحياة، وفي مقياس واحد يقيّمون به أمورها، وفي هدف واحد يبغون جميعاً الوصول إليه، وكأنّهم في سعيهم إلى هذا الهدف يسعون إليه وهم في صفٍ واحد، وفي خطوات متساوية ليس فيهم متقدّم ولا متأخّر، ولا جناح إلى اليمين وآخر إلى اليسار.

يقول اللهسبحانه وتعالى في أول سورة البقرة:-

﴿ألم ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصّلاَةَ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ وَالَّذِيْنَ يَؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ﴾

فجعلهم جماعة وخاطبهم بخطاب الجمع لأنهّم اجتمعوا على الإيمان بقدر مشترك وربطوا تفكيرهم بتنفيذ هذا الإيمان...

وإذن عندما تقترب الفكرة من الفكرة يكون الإلتقاء بين الناس أفراداً أو جماعات، وعندما يصير الإشتراك في الرأي والتقدير، والهدف والأمل إلى وحدة فيهما، تكون الأخوّة بين الإنسان والإنسان على أتمّها، وتكون المجموعة

من الناس جماعة واحدة، وأمة واحدة، وشعباً واحداً.. وإذن، طالما كان الإشتراك في التفكير والأماني عاملاً في قيام الجماعة والتماسك بين أفرادها، يميل عدو الجماعة المتّحدة المتآخية إلى تشتيت التفكير فيها، وتوزيع إتجاهها إلى مناحي وجهات متعددة، فيثير العصبية الشعوبية مرة إن كان في الجماعة تعدّد في القبيلة أو الجنس، ويثير الإفتراق في اللهجة مرة أخرى إن وجِد هناك اختلافاً ملحوظاً فيها، أو يعمد إلى الضغط على اقتصادياتها، أو إلى إيذاء أسماع أفرادها بنابي اللفظ والقول المختلق، إلى غير ذلك من الأسباب التي من شأنها أن تجعل الأفراد يميلون بالتفكير إلى شأنهم الخاص بدل الحرص على بقاء تفكيرهم في الدائرة المشتركة.. وبذلك تضعف الجماعة أو تتلاشى، وقد تحدّث القرآن الكريم هنا في قوله تعالى من سورة آل عمران، آية/١٨٦:-

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِيْنَ أُوتُوْا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِيْنَ أَشْرَكُوْا أَذَىً كَثِيْرَاً وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُوْرِ﴾

فذكر -تبارك اسمه- أنّ الجماعة التي قامت على أساس الإشتراك في التفكير، وقامت على أساس تآخي أفرادها على وحدة الفهم للحياة الإنسانية.

هذه الجماعة لابدّ أن تُبتلى من عدوّها بعوامل الفرقة العددية، ولكنّ نجاتها من محن هذا الإبتلاء إنما تتحقّق في صبرها وثباتها، وفي اتّقائها الخضوع لما يفرّق بينها، ويشتّت وحدتها، وما يفرّق بينها، ويشتّت الوحدة فيها، هو العودة إلى الفُرقة في الرأي والإبتعاد عن الإلتقاء في التفكير.

القرآن
حدّدَ الإتجاه ووحّدَ الأمة

ما يذكره القرآن الكريم هنا في أساس وحدة الجماعة من الإشتراك في الإتجاه، والإشتراك في النظرة إلى الحياة، وما يذكره أيضاً من أمر ابتلاء الجماعة من عدوِّها بإثارة شتى عوامل التفرقة بينها، ثم ما يذكره من علاج حاسم للخروج من أزمة هذا الإبتلاء، وتفويت الأمر على هذا العدو بالصبر، وعدم الإذعان لما يأتي به من مظاهر الضغط ما يذكره القرآن هنا هو السُّنة الطبيعية في قيام الجماعة، أي جماعة، وفي محافظتها على وحدتها وتماسكها...

إنّ القرآن إذ يوصي هنا أصحاب الجماعة الواحدة التي قامت على أساس الإشتراك في مُثل الحياة وأهدافها من الصبر والتحمّل، عندما تُمتحن بالأزمات من عدوِّها يجيء في آية أخرى ويُبيّن أنَّ هذا الصبر وتحمّل الأزمات في سبيل الإبقاء على الوحدة في الجماعة هو هدف رفيع عظيم يجب أن يُكافِح الإنسان في سبيله دائماً، ولا يوازن بينه وبين ما يبتغيه العدو من تفرقة وتشتيت، سبيل الوحدة هو سبيل الله، وسبيل التفرقة والإيذاء دائماً هو سبيل الشيطان، وما لله أبقى وأقوى، وما للشيطان نهايته الضعف والزوال.

يقول تعالى في سورة النساء، آية/٧٦:-

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾

تمسّكُنا بالمبادئ يكفل انتصارنا

يقول الله ﷻ كما في سورة التوبة، آية/٢٠:-

﴿الَّـذِينَ آمَنُـوا وَهَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا فِـي سَـبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفَسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُوْلَئِـكَ هُـمُ الْفَائِزُونَ﴾

هنا يتحدث -سبحانه وتعالى- عن الذين تمسّكوا بالمبـادئ، وعن مظاهر احتمالهم المكاره والأذى في سبيل تمسّكهم بها، ثـم أخيراً عـن عاقبـة أمـرهم وهـم لا يرضـون عنهـا بـديلاً.. فيـذكر المؤمنين الـذين صـدّقوا بـالله، وبرسـالة رسوله(صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) وتصـديقهم بـاللهﷻ وبرسـالة الرسـول(عليه أفضـل الصلاة والسلام) تصـديق بالمبـادئ العليـا، وهـي مبـادئ تجعـل الإنسـان متحـرراً مـن الـرقّ والعبوديـة لِبَشـر أو لمـا هـو أقـل وأصغر من البشر، وتجعله مطمئنـاً للسـلام فـي نفسـه، والسـلام بينه وبين أخيه في مجتمعه، وتجعلـه –وهـو مطمـئن للسـلام- ذا قوة وذا استعداد لدفع الظلم والعدوان أينما كان مصدره...

كما يذكر اللهﷻ أنَّ آية إيمانهم بهذه المبـادئ هـي احتمـالهم للأذى بكل أنواعه في سبيلها، ذلك الإحتمـال الـذي تجلّـى إذ ذاك في تركهم أوطانهم وهم ضعفاء، ليعودوا إليها ثانية وهم أقويـاء، وفي جهادهم بأموالهم وأنفسهم، لا يدّخرون شيئاً مما يملكون من مال أو طاقة بشرية، في سبيل حرصهم على البقاء في ظـل هـذه المبادئ ونصرتها والدفاع عنها.

وبجانب ما يذكره القرآن الكريم هنا من الإيمان بالمبادئ، ومن احتمال المشاق في سبيلها يذكر أخيراً أنّ نهاية الأمر بالنسبة لهؤلاء المؤمنين –مهما أوذوا ومهما وقع عليهم الظلم والعدوان- إنهم فائزون لا برضاء الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم فحسب ولا بجزائهم الجزاء الأوفى في الآخرة فقط، وإنما أيضاً فائزون في دنياهم، فائزون بإنسانيتهم، فائزون بسيادتهم على أنفسهم وعلى أرضهم، فائزون بتحقيق ما اعتقدوا وآمنوا به في حياتهم العملية..

قد كان ذلك شأن المؤمنين بالمبادئ، شأنهم في إيمانهم وشأنهم في احتمال المشاق في سبيل الإيمان، وشأنهم في عاقبة أمرهم من النصر والفوز...

وتلك سُنَّة الحياة لا تتغير ولا تتبدل، ولا تقع في عصر دون عصر.. إذ من شأن الإيمان أن يمنح القوة لمن يؤمن، فلا يُصادف عقبة في طريقه إلاّ ويجتازها أو يُزيلها.. وإذا كان مؤمناً بالمبادئ تضاعفت قوته بالإيمان مرة، وبالمبادئ مرة أخرى، ولهذا لا يرى نفسه ولا ماله شيئاً بجانب ما يؤمن به من مبادئ ومُثل، ولا يعزُّ عليه إلاّ أن يرى مبادءه حقيقة واقعة، وتضحيته بنفسه وماله في سبيل مبادئه آية عندئذٍ على أنَّ قوة إيمانه قد زادت وتضاعفت فاسترخص نفسه وماله في سبيل مبادئه، وإذا استرخص الإنسان نفسه وماله في سبيل إيمانه بالمبادئ، فإنه سيفوز حتماً بوجوده وبحياته، ولكن بوجودٍ أكرم، وبحياةٍ أعزُّ وأقوى...

تلك سُنَّة الطبيعة كما ذكرنا لا تتخلف.. وآية ذلك مرة أخرى ما كان من تأريخنا وما كان بالأمس القريب في حياتنا الحاضرة، يوم اعتدى علينا

المعتدون الآثمون بما لهم من قوة على الأرض وفي السماء وفوق الماء تفوق ما لنا من قوة مادية...

وما كان انتصارنا يومذاك في مواجهة العدو، إلاّ لأنّنا آمنّا بحقنا في الحياة، وآمنّا بسيادتنا على أرضنا، وآمنّا بحريتنا واستقلالنا وتحررنا من كل نفوذ أجنبي –وهو إيمان بمبادئ ومُثل- وتمَثّل هذا الإيمان في نفوسنا، وأخذ علينا قلوبنا وجوارحنا على السواء، فأصبحنا قلباً واحداً ويداً واحدة، وأتجهنا جميعاً إتجاهاً واحداً..

وهنا تضاعفت قوتنا وزادت ونمت، لأنَّ مصدرها هو الإيمان، والإيمان بمبادئ.. وبذلك رجحت كفّتنا وكان لنا النصر أخيراً.. وهو نصر الإيمان بالمبادئ على العدو والقوة المادية التي للعدو، هو نصر التضحية في سبيل تلك المبادئ على التسليم والإذعان على نحو ما خَيّل العدو لنفسه من قوة وقدرة واستناداً إلى تفوّقه فيما يملك من عُدَد وعتاد..

فإذا كان الإيمان بالمبادئ كفيلاً بالنصر للمؤمنين بها أخيراً، فأنّنا –لكي نبقى أقوياء وبالتالي أعزّاء وأحرار في نفوسنا وعلى أرضنا- علينا أن ندرك تماماً أنَّ لمجتمعنا مبادئ ومُثل عليا، وأنه يجب علينا أن نؤمن بها إيماناً وثيقاً، وآية هذا الإيمان أن نهيئ أنفسنا للتضحية في سبيلها والبذل مما نملك من طاقات مادية وأدبية وعلمية..علينا أن نتأكد أنه مهما هُيِّأ لنا من وسائل القوة المادية فلا نستطيع بها وحدها أن نواجه أحداث الحياة، وخاصة أحداث عدو يتربص بنا ويتآمر

علينا، والعدو موجود دائماً، والتآمر ظاهرة من ظواهر البشرية تختفي حيناً وتظهر أحياناً.. ولكن ليس معنى هذا أن نهمل أعداءنا ونتغاضى عن الأخذ بأسباب القوة المادية.. وإنما اجتماع الأمرين معاً، القوة المادية والقوة المعنوية بالإيمان بالمبادئ والمُثل، هو السبيل القويم لحياة إنسانية كريمة، ولسيادة الإنسان على الأرض التي يعيش فيها.. يقول تعالى في سورة الأنفال/آية (٦٠):-

﴿ وأَعِدُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُوْنَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾

بحث ختامي:-

اللغة العربية
لغة المجتمع الإسلامي

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فقال عزَّ من قائل في سورة فصّلت، آية/٣:-

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنَاً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

وقال تعالى في سورة يوسف، آية/٢:-

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنَاً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

وقال تعالى في سورة الزمر، آية/٢٨:-

﴿قُرْآنَاً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

وكأنَّ نزوله باللغة العربية تكليف ضمني للعرب بأن يُؤدّوا رسالة الإسلام، ويحملوا مشعلها، ويتحمّلوا في سبيلها الصعاب والمشاق، ويكون من وراء ذلك كله مجد هذه الرسالة، وهو مجد يتصل بالإنسانية وبسيادة خصائصها في التهذيب والسلوك بين الناس، ولم تُختَر لغة العرب لغة الإسلام لأن لها خصائص في تراكيبها ومدلولاتها، ولكن لأن أشرف الأولين والآخرين سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد العربي رسول الله، ولأن مكة في موطن العرب، أول بيت وضع للناس، فيه مقام إبراهيم عليه السلام..

وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى محمداً ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ولا رادّ لاصطفائه. وخصّ مكة لتذكّر بالرسالة الإلهية في صورتها الأولى، وهي رسالة

إبراهيمعليه السلام ومصلحة البشر في أن تكون أخرى الرسالات مذكِّرة بأولاها، حتى يكون في ذلك إعلام للبشرية بأنّ رسالة اللهعزّ وجلّ مهما تعددت الرسل، وتعددت مواطنهم، فهي في جوهرها واحدة، تعبّر عن إرادة واحدة هي إرادة اللهعزّ وجلّ، وعن منهج واحد هو المنهج المستقيم للبشرية، وعن غاية واحدة هي غاية الإيمان بالله خالق الكون كله..

ومن أجل هذا كانت العربية لغة الإسلام، وكان العرب هم أول دُعاته، وفضّلهم على غيرهم، أنهم كانوا الطليعة في سبيل الدعوة إليه، وأنهم الذين مهّدوا بدمائهم، وبأموالهم، وبالهجرة من ديارهم لنصر هذه الدعوة واستمرارها وانتشارها.

وعلى المسلمين في جميع بقاع الأرض أن يتعلموا العربية، ليفهموا القرآن، وليقفوا على تعاليمه، ثم ليزدادوا إيماناً على إيمانهم باتصالهم المباشر بالقرآن، ومن وراء ذلك اقتراب بعضهم من بعض في لغة التفاهم، كما اقتربوا من قبل في إيمان القلوب، وفي خطوط السلوك في الحياة، وفي الهدف الأخير منها.

ومن أجل ذلك إذا ما نُقِلت معاني القرآن الكريم إلى لغة غير اللغة العربية، فإن يَسَّرَ التفاهم على المسلمين غير العرب في القيام بتكاليف الإسلام وفهم تعاليمه، فإنَّه سيُبقي على فُرقتهم في التفاهم، بينما هم على وحدة في الإيمان والإعتقاد..

وقوة المسلمين تدعو إلى أن تكون لغتهم واحدة على نحو ما هم عليه من دين، وما لهم من سلوك موحّد في العبادات والمعاملات، وفي منهج الأسرة، ومنهج العلاقات بينهم وبين غيرهم في المحيط الدولي العام..

ومن هنا كان الحرص على أن يتعلّم المسلمون غير العرب، العربية أولى من ترجمة القرآن إلى لغاتهم، أو إلى لهجاتهم العديدة.

ومن هنا أيضاً كان على العرب –ولم يزل عليهم حتى الآن وبعد الآن- أن يسعوا في أن يتعلّموا اللغة العربية وينشروها بين المسلمين الذين لا يتكلّمونها.. وهو واجب عليهم من دينهم أولاً وبالذات، قبل أن يكون واجباً عليهم من انتسابهم إلى هذه اللغة..

وإذن هناك واجبان: واجب على المسلمين غير العرب أن يتعلّموا اللغة العربية، وواجب على العرب أنفسهم أن يُعلِّموا هذه اللغة، ويُيسِّروا أمرها على غيرهم من إخوانهم في الدين والإيمان..

وبهذا يكون للعرب في وقتنا الحاضر رسالة إضافية مهمة جداً، كانت رسالتهم ولا تزال أن يدافعوا عن الإسلام وتعاليمه، ويدفعوا بهذه الرسالة المقدّسة إلى بقاع العالم المختلفة.. وعليهم الآن بالإضافة إلى الواجب الأصلي أن يدافعوا عن العربية، فيُقَوِّموا لسانها ويعيدوها إلى أصلها الفصيح، ثم يدفعوا بها إلى المسلمين في أي مكان كانوا...إنّ اللغة العربية بحملها رسالة الإسلام، وتعبيرها عن قِيَمِه، أضافت إلى نفسها قيمة أخرى، أضافت إلى نفسها أنها لم تعد لغةً محليةً، بل أصبحت بذلك لغة عالمية، هي لغة العالم الإسلامي، وأضافت لنفسها

أيضاً ما للدين والعقيدة من قوة، ولهذه القوة من استمرار وبقاء.

وهنا للعرب جميعاً أن يفخروا بلغتهم، كما للمسلمين منهم أن يفخروا بدينهم وإيمانهم...

إنّ اللغة العربية في تعليمها ونشرها أصبحت رسالة، وأن على العرب أداء هذه الرسالة.

والمسلمون في شتى بقاع الأرض بعد ذلك سيدينون لهم بالفضل، كما دانوا لأسلافهم من قبل بفضل حملهم لرسالة الإسلام والدفاع عنه، والعمل على بقائه خالداً إلى يوم أن يُبعث الناس، وكل ذلك بعناية الله عزّ وجلّ وبمقدار تمسّكهم فكراً وسلوكاً برسالة الإسلام المقدسة...

وإذا كان هناك من يتحمس إلى ترجمة معاني القرآن إلى لغة أخرى غير العربية ليُيسّر على المسلمين أمر دينهم –وهو شيء جيد ومن الأمور المهمة ولكن ربما تكون الضرورة أشدّ في تعليم اللغة العربية ونشرها بين المسلمين غير العرب، إذ بجانب تيسير أمر الدين، تقريب التفاهم والمفاهيم بين المسلمين جميعاً، عرباً وغير عرب، يقول تعالى في سورة الأنبياء، آية/٩٢:-

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُونِ﴾

فالأمَّة الواحدة هي ما اجتمع لها:

وحدة اللسان ووحدة القلب

والحمد للهِ ربّ العالمين

الفهرس

الكفاح في تأريخ الشعب العربي	٣
أواصر القربى في الشعب العربي	٧
١-رابطة اللغة	٧
٢-رابطة الدين	٨
٣-رابطة الرحم والجوار	١٠
الأماني العربية	١٢
واجب الشعب العربي اليوم	١٧
أيها المسلمون في هذه الديار العربية	٢٠
نحو مجتمع عربي أفضل	٢١
تكوين النفوس تكويناً صالحاً	٢٢
الخشية من الله أول مراحل التكوين	٢٥
الفكر المشترك هو يكوّن وحدة	٢٧
القرآن أقوى دعائم الفكر	٢٨
القرآن حدّد الإتجاه ووحّد الأمة	٣٠
تمسّكنا بالمبادئ يكفل انتصارنا	٣١
بحث ختامي : اللغة العربية لغة المجتمع الإسلامي	٢٥
فهرس	٣٩